

تربية «هتلر» جديد

في خطبتي الماضية ذكرت أنني، بإذن الله تعالى، سوف أقدم النصح للعالم من زوايا متنوعة. وأبدأً بأمريكا، وأول نصيحتي لأمريكا أن تحاول رؤية نفسها بعيون الآخرين. فموقف الرئيس بوش هذه الأيام، مع ما يكال له من صنوف المديح عن نفسه، والخطوات التي يتخذها.. تجعله من الناحية النفسية غير مدرك تماماً لضرورة فحص خطواته وسياساته من منظور الآخرين، كما وأنه غير مهتم كيف تتشكل صورته في العالم الخارجي. ترى أمريكا، أو يرى الرئيس بوش، أنهم نجحوا في جعل العالم يقتفي أثرهم. ويذكرنا هذا بالتعبير الذي يقوله الصيادون عن كلاب الصيد بأنها «تسير في كعبهم». فيقول الرئيس بوش في نفسه: لقد جعلت بريطانيا والحلفاء الآخرين «يسرون في كعبي» طلباً للصيد الذي خرجت له، وأن هناك حيوانات أخرى تتبعنا رغبةً في أن تنال شيئاً من الفريسة بعد إمساكنا بها. هذا هو ظن الرئيس بوش عن الخطوات التي اتخذها باسم تحرير الكويت ضد العراق وضد العالم الإسلامي.

زاوية النظر الإسرائيلية

ولو نظرنا من زاوية أخرى لاستطعنا القول، وهو الأصح، إن إسرائيل لها الحق أكثر من أمريكا والرئيس بوش لتقول: لقد جعلت العالم كله يسير في كعبي، وأمريكا تتبني كما يتبع كلب الصيد كعب الصياد. وهذه الصورة أكثر صحة، والعالم يتفحص الموقف برمته. يمثل هذه النظرة. عند تغيير زاوية النظر يبدو الشيء مختلفاً. هناك زاوية النظر الأمريكية، وهناك أيضاً زاوية أخرى، وسأضع أمامكم بعض الأمثلة لذلك.

تعتبر أمريكا وحلفاؤها إسرائيل حاميةً لمصالحهم النفطية وغيرها من المصالح، ويقولون: ينبغي إرضاء إسرائيل بأي ثمن، ولا يهم حتى لو سخط العالم جميعه. وفي المقابل ترى إسرائيل أنه لو اتجه الرأي العام لقارة آسيا مثلاً كلها ضدنا فسوف نفضل مساندة الدول الغربية. أمريكا وحلفاؤها يظنون أنهم يحتاجون إسرائيل، والحقيقة أن إسرائيل ترى بأنها بحاجة إلى الغرب. فلماذا تُلعب المباراة بهذه الطريقة؟ وما الغرض من ذلك؟ وإلى أية مرحلة، وإلى أين تؤدي؟ سوف أضع أمامكم بعض الأمور بعد قليل.

القط حارس اللب!

فيما يتعلق بالمصالح البترولية.. يجب النظر إلى إسرائيل نظرة عميقة. فقد فشل هؤلاء الغربيون في دراستها. إن طبيعة إسرائيل تؤكد أنه من المحال أن تكون هي على مقربة من حقول البترول ومع ذلك تمتنع عن السطو على هذه الحقول. فاتخاذ إسرائيل حارسة على البترول يتفق مع المثل البنجابي القائل: القط يحرس اللب، أو الجدي يحرس الغلال! عبارة بسيطة ولكنها حكيمة. ليس هناك مظهر للغباء أجلى من أن يُتخذ القط حارساً على اللب، أو الجدي حارساً على الحبوب. فأشد الأخطار على تلك المصالح سوف تأتي من جانب إسرائيل التي جعلوها حارسة عليها. في النهاية سوف يصل الأمر إلى هذه المرحلة لو لم يلحظ العالم ذلك.

وسأتناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فظائعهم خلقت النواصر والصوادم

تتمس إسرائيل في أذن حلفائها الغربيين، وأمريكا بصفة خاصة.. أن هناك وسيلة واحدة وحلاً واحداً لإقرار السلام في هذه المنطقة.. ذلك بأن نمنع ظهور أمثال عبد الناصر وصدام هنا. وما دام النواصر والصوادم يُؤلّدون هنا فلن تصل المنطقة أبداً إلى بر السلام.

والمعنى الآخر لهذه الرسالة هو القضاء على روح الحياة في بلاد العرب وحرّيتهم، والقضاء على فكرة مساندة الفلسطينيين. وهذا هو الرأي الذي قبله عالم الغرب في ممارساتهم العملية. إنهم لا يرون أن الفظائع ليست من صنع النواصر والصوادم حقيقة، وإنما هي ثمرة مظالمهم هم. والواقع أن صدام اليوم هو ثمرة ارتكاب المظالم ضد مصر والبلاد الإسلامية للقضاء على عبد الناصر والبلاد الإسلامية. الكراهية لا تثمر إلا البغضاء، وشجرة الحنظل لن تثمر فاكهة حلوة. فالموضوع إذن على العكس تماماً. فما دتمت تعاملون العرب معاملة جائرة، ولا تنفكون تطلقون عليهم فظائعكم.. فسوف يظهر ناصر بعد ناصر، وصدام تلو صدام. هذا هو القدر الإلهي، ولن تستطيعوا تبديله. لقد قصفتم العراق حتى اليوم قصفاً رهيباً مريعاً لا يقاس به قصف الحرب العالمية الثانية. في سنوات الحرب العالمية الست قذفوا في كل العالم ٢٧٠٠ ألف طن من القنابل، ولكنهم أسقطوا على العراق في خمسة أسابيع فقط ١٥٠ ألف طن. ومن ذلك ترون كيف أمطروا الموت عليهم بلا رحمة. إنهم لا يحاولون فهم الطبيعة البشرية. هذه القنابل لا تهدم الصداقية، وإنما تُشعل رغبة في قلوب مئات الألوف من المسلمين عرباً وغير عرب لخلق عديد من الصوادم. ثمّة أجيال من الصغار يراقبون الموقف اليوم، وقد عقدوا العزم في قلوبهم على ما سيفعلون غداً. تمطرون القنابل وتتوقعون بذلك ثماراً حلوة؟ هذا هو أشد الجهل!! الكراهية تولد الكراهية دائماً. فما سبب الكراهية؟ ما لم يصلوا إلى معرفة سبب الكراهية التي خلقت عبد الناصر وصدام.. فلن يستطيعوا اقتلاع جذورها، ولن يستتب السلام في هذه المنطقة.

حكمة إسرائيل.. شنُّ الحروب

وبقدر ما بحثتُ، والوقائع تؤيدني.. توصلت إلى أن إنشاء إسرائيل هو الجذر الأساسي لكل الكراهية، وأن مفهوم خلق إسرائيل نفسه يتضمن الحروب. وليس هذا قولي أنا وحدي، بل إن «بن جوريون»، مخطط إسرائيل ومؤسسها، ينادي بذلك. سأتلو عليكم مقتبساً من كتاب «صنع إسرائيل» يقول كاتبه جيمس كيمرون (James Cameron):

«بالنسبة لبن جوريون.. ليس لكلمة دولة من معنى سوى أنها أداة للحرب، حيث قال: لا أستطيع التفكير الآن في معنى آخر سواه. وأشعر الآن أن حكمة إسرائيل هي شن الحروب ولا شيء غيره. هذا وهذا فحسب».

(Making of Israel p. 55)

وذكرتني قراءة هذا الكلام بسطرين من شعر كولريديج (Coleridge)، الذي كتبه عن قبلائي خان في قصيدته المشهورة «قبلائي خان».. قال: «في وسط هذه الضوضاء.. سمع قبلائي من بعيد أصواتاً ملحّة تنبأ بالحرب».

وسواء سمع قبلائي هذا الصوت أم لا، فمن المؤكد أن بن جوريون سمع ذلك الصوت ينبعث من جبل صهيون قائلاً: يا إسرائيل، وجودك بعد اليوم له غرض واحد لا ثاني له؛ إنه شن الحروب المستمرة، ودفع العالم دائماً نحو الحرب. ولا معنى لإسرائيل دون ذلك.

مهما خدع الأمريكان والحلفاء أنفسهم بتأييدهم إسرائيل هذه، فالواقع أنه لن يكون هناك معنى لأي سلام. فطبيعة إسرائيل ذاتها وتعريفها يجزمان دفع العالم نحو الحروب. لماذا يدفعونه؟ سوف أميط اللثام عن هذا السر، وإن لم يعد سراً مكتوماً.

وفيما يتعلق بتجهيزات إسرائيل للحرب.. كان العالم الغربي مهتماً فقط بتضخيم الخطر العراقي للعالم، وأنه هتلر العصر، وظهور جديد للنازية. في حين أن أحد المعلقين من الغرب كتب عن العراق يقول: تسمون هتلر من لم يستطع في ٨ سنوات أن يتغلب على بلد مثل إيران.. في حين أن هتلر خلق هزة مفاجئة عنيفة في أوروبا جميعها؟ كانت نفوسكم ترتعد منه. قام من برلين ليطلق أبواب لينينجراد، وكانت صواريخه على الجانب الآخر تنهال على لندن؟ بأي وجه تسمون صدام حسين هتلر وأنتم تطرونه بصواريخكم. ما أسخف هذه الفكرة!

إنه لا يستطيع صنع صاروخ سكود واحد، حتى إنكم بدأتم تعدون ما تبقى لديه من هذه الصواريخ. وإذا كان أدخل تعديلاً على الصاروخ لزيادة مداه فكان ترقيعاً رديئاً كما يفعل النجار أو الحداد في قرانا. وهم بأنفسهم يسخرون من العراق الصريع ويقولون: هذا هو حالهم ومع ذلك يجرؤون على الحرب معنا.. لا يُحسنون صنع صاروخ سكود! وأقول: هل هكذا كان هتلر؟

إسرائيل تتحدى الاتحاد السوفيتي!

بينما ادعى جنرال إسرائيلي، بل عدة جنرالات.. ادعاءات مرعبة حيث قيل: «كثيراً ما تبجح جنرالات إسرائيل بقدرتهم على مواجهة كل الجيوش العربية مجتمعة في وقت واحد والقضاء عليها. وادّعى رئيس الأركان أن بوسعه هزيمة القوات المسلحة السوفيتية».

(Dispossessed, The Ordeal of The Palestinians, By David Gilmour P. 224)

هتلر خيالي.. وهتلر حقيقي

ففي محاولة تدمير هتلر خيالي افترضوا وجوده، يصنعون هتلر حقيقياً!! ما أشدّ عماهم وما أضعف بصيرتهم! لا يعرفون أنهم باسم هتلر، الذي أطلقه اليهود على صدام والفلسطينيين، يخلقون هتلر حقيقياً. إنهم إذا فشلوا في إدراك هذا فستخبرهم الأيام إلآم تهدف إسرائيل، وكيف ستعاملهم!

عندما يرى المسلمون إسرائيل ترتكب الفظائع وتلقى مساندة بعد مساندة فإنهم يندهشون، ولا يفهمون لماذا يفعل بهم هذا. لقد تحدثت إسرائيل مراراً عن إرهاب المسلمين، ولعل عيونكم ملّت من قراءة عناوين كثيرة تقول: «الإرهاب الإسلامي، الإرهاب الإسلامي، الإرهاب الفلسطيني» وما شابه ذلك من إرهاب. لقد قدموا الإسلام والإرهاب كأثما شيء واحد، واسمان لروح واحدة وجسد واحد. ولكن الحقيقة أن إسرائيل هي مخترعة الإرهاب ومؤسسته. ولقد عرضت عليكم بعض الأمثلة لذلك في الخطبة الماضية، وسأخبركم الآن بإيجاز

عن الإرهاب المروع الذي ارتكبه إسرائيل، وعن المدن العربية التي دمرتها مثل دير ياسين وبيافا وبيروت الغربية وصبرا وشاتيلا. وقعت على هذه المدن فظائع مرعبة، وذبحوا فيها الرجال والنساء والأطفال.. شيباً وشباناً.. في وضح النهار، وطعنوهم بالحرايب في قسوة بالغة وهم ينظرون في عيونهم. وقتلوهم بوسائل أخرى، فلم يتركوا وراءهم أحداً حياً. دمروا الكثير من هذه البلاد ولم يدعوا فيها بنياناً قائماً. في هجمة واحدة منها عام ١٩٧٧ شردوا ٢٥٠ ألف فلسطيني بلا مسكن يؤويهم. ولكن دول الغرب صمَّ بكمَّ عُميَّ حيال كل هذه الأمور لا يشعرون بأي ألم. والعرب والمسلمون الآخرون ينظرون بدهشة إلى ما يحدث. لماذا هذه الأكوام من الفظائع المتراكمة، وعواصف الظلم المتزايدة.. والغرب لا يبدي إحساساً بها، وليس هناك إنسان منصف يقول لإسرائيل: إنك سطرت في تاريخ الإنسانية صفحات يحجل منها تاريخ الإجرام والفظائع؟ ولا يزالون يغلقون عيونهم متعامين عنها. لدي أمثلة كثيرة عن فظائعهم، ولكن الوقت لا يسمح بعرضها كلها، وإذا أمكن فسوف نشرها فيما بعد. ولقد أعدوا خطة للهجوم على لبنان سموها «عملية سلام الجليل». إن جوهر الصورة التي رسمها في هذا الصدد دافيد جيلمور (David Gilmour) في كتابه المذكور آنفاً تبين أن خطة إسرائيل عن الجليل كانت بحجة حماية أنفسهم والدفاع ضد هجمات الفلسطينيين المتكررة من جنوب لبنان. ولكن في عام ١٩٨١ تم اتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ومن يوليو ١٩٨١ حتى مايو ١٩٨٢ عندما شنت إسرائيل هجومها على لبنان لم يحدث أن خرَّق الفلسطينيون هذا الاتفاق ولا مرة واحدة؛ ولم يقع هجوم فلسطيني واحد خلال هذه الفترة. ثم يقول ثانياً: ولم تتعرض الجليل لأي خطر من جانب لبنان. ويضيف ثالثاً: وكانت هذه الخطة معدة قبل عام ١٩٨٢، ودلل على ذلك من مراجعهم. (المرجع السابق ص ٢٢٢ و ٢٢٥).

فأعدارهم باطلة ومفتعلة، ولا أساس لها من الواقع، لأنهم أعدوا خطة الحرب قبل ١٩٨٢ بفترة طويلة. ويكتب جيلمور أنهم عندما شرعوا في قصف بيروت عام ١٩٨٢.. كان القصف شديداً، وكانوا يطلقون مدافعهم من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت سفنهم المجهزة بمدفعية رهيبية تمطر قذائفها ليل نهار لتنسف البيوت واحداً بعد الآخر وتبيد الناس. (المرجع السابق). ولكن لم نسمع صوتاً واحداً في هذا العالم لنجدة الفلسطينيين المعتدى عليهم. كان الغرب صامتاً. والأعس من ذلك أن العرب أنفسهم كانوا صامتين! كانت مخافة الإرهاب الإسرائيلي عندئذ قد استقرت في نفوسهم بحيث لم يرفع أحد من الدول العربية صوتاً ضدهم. ونتيجة لهذا القصف قُتل ١٤ ألف شخص، وأصيب أكثر من ٢٠ ألفاً، وصار المشردون بلا مأوى بعدد لا يحصى. (المرجع السابق).

هذا ملخص قصف عام ١٩٨٢ كما نشر في بعض الصحف. ولعلكم سمعتم أنه عند نهاية الحرب العالمية.. عندما أطلق الألمان صواريخ (V2) على بريطانيا وبلجيكا.. اعتبروها أشد الفترات فظاعة وألماً؛ وطالما يتحدثون في بريطانيا في مناسبات متعددة عن القصف بهذه الصواريخ ولم ينسوها. ولكن العجيب أن ضحاياها في بريطانيا وبلجيكا لم يتعد ٧٥٠٠ من القتلى.. في حين أن قتلى القصف الإسرائيلي هذا بلغ ١٤ ألفاً. هذه كلها أحداث الإرهاب الإسرائيلي.. التي لم يدخلوها في أي حساب، ولم تلتفت إليها أية قوة غربية، ولم يرفعوا الصوت ضد

إسرائيل بسببها.

حقيقة الوعود الإسرائيلية

أما فيما يتعلق بوعود إسرائيل فيقال: لو تعاهدتم على السلام مع إسرائيل فلا خوف عليكم من خطرهما. ولكن هذا كذب محض. كذب كبير لا تجدون له مثيلاً في الدنيا، وسوف أثبت من الحقائق والأرقام أن وعود إسرائيل لا ثقة فيها إلا بقدر الثقة في كذابي الدنيا كلهم مجتمعين!

في حرب عام ١٩٦٧ التي فرضت على العرب بسبب عدوان من إسرائيل احتلت مساحة كبيرة من أراضي العرب. كانت قبلها قد أعلنت أنها لا تريد احتلال قدم واحدة من أرض العرب، وأكدت لبلاد الغرب ذلك قائلة: إننا نعمل ذلك لتلقين الفلسطينيين درساً وهو: إذا لم تتوقفوا عن مهاجمتنا.. ودأب مناصروكم على إبداء البطولة فسوف نزل بكم جميعاً هذا العقاب. وهذا هو كل غرضنا. فمثلاً أعلن ليفي أشكول (Levi Eshkol) رئيس الوزارة وقتئذ باسم إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧: لا تنوي إسرائيل الاحتفاظ ولا بقدم واحدة من المناطق العربية. (المرجع السابق ص ٢٢٥). ولكن في تلك الحرب احتلوا، ولا يزالون يحتلون، كل أرض وضعوا أيديهم عليها. وبدلاً من قدم واحدة لا يزالون يحتلون ٧٣ تريليون قدم من أراضي العرب!

تذكرت عند ذلك تعليق أحد كتّاب الغرب على النشاط الإسرائيلي قال فيه: بوسعي فهم ما جاء في تعاليمهم الدينية من أن عيناً بعين وسناً بسن، ولكني لا أستطيع فهم عشرين عيناً أو أكثر مقابل عين واحدة! الواقع أن الكاتب لم يضم أرقام النشاط الإسرائيلي إلى بعضها. إن إسرائيل في الوقت الحاضر لا تعتقد في أن عشرين عيناً بكل عين، ولكنهم يعتقدون في ٢٠ ألف أو مليوني عين بعين واحدة منهم. فإنهم يحققون وعودهم بمفهوم سلبى مضاعف ملايين المرات، يعني أنهم ينقضون عهودهم مرات كثيرة. وهذا ليس من قبيل المصادفات. اسمعوا هذا: قبل هجومهم على لبنان عام ١٩٨٢، وقد أشرت إليه، أعلنوا أنهم لا يريدون احتلال بوصة واحدة منها. (المرجع السابق، ص: ٢٢٥).

وفي عدوانهم هذا فعلوا كثيراً من الفظائع لم أذكرها لكم، وبعدها انسحبوا من لبنان فيما عدا المنطقة جنوب نهر الليطاني، وهي منطقة في خطة إسرائيل منذ البداية، ومساحتها ليست بوصة واحدة.. بل هي ٨ تريليون و ٨٣٠ بليون بوصة. فهم عندما يقولون: لا نريد قدماً واحدة، فمعنى ذلك أنهم يريدون ٧٣ تريليون قدماً، وعندما يقولون: لا نريد بوصة واحدة، فمعناه أننا سنستولي على ٨ تريليون و ٨٣٠ بليون بوصة من الأرض.

عند ذلك فكرت في ضرورة فحص تاريخهم ومعرفة كم مضى من الزمن على نزول تعاليم التوراة التي تقول: عيناً بعين وسناً بسن، ثم نحوها إلى ثوان، وعندها نعرف سيكولوجيتهم، وكيف نما فيهم حب الانتقام كل ثانية. اندهشت لما عرفت أنه انقضى منذ نزول التوراة ما يقرب من ٦ تريليون و ٢٤٤ بليون و ١٢٨ مليون ثانية. فتصوّروا منذ زمن سيدنا موسى حتى الآن كم مضى من تلك الثواني، ولكن سرعة نقضهم للعهد وقولهم الكذب وولعهم بالانتقام تزداد بمعدل أسرع من الثواني!

أضع أمامكم اقتباساً آخر نقلاً عن مراقب غربي حول الفظائع التي أهالوا بها على لبنان. كتب السفير

الكندي في لبنان مستر تيودور أركاند Theodore Arcand، تعليقا على قصفهم لبنان بعد أن شهده بنفسه: يبدو أن قصف برلين عام ١٩٤٤ مقارناً به لا يزيد عن حفلة شاي. (المرجع السابق ص ٢٢٤).
وقد حللها بعض المراقبين جيداً، فقال أحدهم: لم يكن مجرد مذبح عامة لمنظمة التحرير الفلسطينية فحسب.. بل خطة لتحطيم احترام النفس لديهم. (المرجع السابق ص ٢٢٦).

بل صرح دكتور ناحوم جولدمان (Dr. Nahum Goldman) مؤسس الصهيونية، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي لسنوات وقال: إن هدفهم الظاهر هو تصفية الشعب الفلسطيني. (المرجع السابق ص ٢٢٦).
وكان موقفهم عدوانياً ضد الشعب الفلسطيني حتى إنهم لعبوا دوراً هاماً في تشويه الشخصية الفلسطينية بحيث كتب بعض المراقبين الغربيين أنهم عندما يخاطبونهم لا يذكرون اسمهم إلا مصحوباً بكلمة سخرية.. فلا يقولون: فعل الفلسطينيون كيت وكيت، وإنما يقولون: فعل الإرهائيون كيت، أو الحيوانات يفعلون كذا، ويستخدمون ألفاظ السباب والشتائم قائلين بأنهم يفعلون كذا (المرجع السابق). حتى كانوا يصفون عرفات بأنه هتلر الجديد المختفي في مخبأ في بيروت (المرجع السابق ص ٢٢٤).

لا حق للفلسطينيين في الحياة!

وكانوا إلى زمن قريب يقولون: إننا بُغضُ الفلسطينيين لأنهم لا يقبلون بوجودنا، فلماذا نقبل بوجودهم؟ إلى من نتحدث؟ إلى من يريدون إلقاءنا في البحر؟! بعد محاولات فاشلة لزمن طويل، سعى ياسر عرفات إلى إبطال حججهم، فصرح في مجلس الأمم المتحدة، حينما دعي للتحدث فيه، أمام كل الأمم: أعلن باسم حركة التحرير الفلسطينية اعترافنا بإسرائيل، ونقبل بحقها بالوجود. وعندما قام بهذا الإعلان، أعلنت إسرائيل ردّاً على إعلانه، بلسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية: «الشيء المفيد الوحيد الذي تستطيع منظمة التحرير الفلسطينية فعله هو أن تختفي، لأن فلسطين لم يعد لها وجود، ومن ثم فلا معنى لوجود حركة تحرير لها» (المرجع السابق ص ٢٢٧).. أي أنهم لا حق لهم في الحياة.

هذه هي الأمة التي يغمض الغرب عينه عن طغيانهم وعدوانهم، ويتخذون الفلسطينيين المستضعفين المضطهدين هدفاً لدعاية ظالمة قاسية. لقد جردوهم من كل أرضهم، وطردهم من ديارهم ووطنهم. في كل يوم جديد يعرضهم الإسرائيليون لمعاملة قاسية، وينشرون فيهم القتل، ويمحون مدناً كلية، ويشردون أهلها. أربعة ملايين فلسطيني يتيهون في العالم من بلد لبلد.. في حين يزرع الغرب اليهود في أراضي الفلسطينيين ويثبتونهم بقوة. فزاد عددهم في الماضي ولا يزال يزداد. وبرغم كل محاولاتهم هذه وصل عدد اليهود هناك إلى مليونين ونصف المليون. ولا يزال مليون ونصف مليون فلسطيني يعيشون هناك. يزيدون عدد اليهود من يوم لآخر، وفي مخططهم أنه بعد امتلاء الضفة الغربية باليهود سيطالبون بمزيد من الأرض. فهم يستزيدون من الأرض أولاً، ثم يكتثرون عدد السكان، وهكذا يمحون في عملية متكررة مستمرة. وهذه هي طريقتهم. أما الفلسطينيون الذين حكموا هذه الأرض لقرون، وولدوا ونشأوا وتربوا على ترابها، فلا حق لهم في الحياة داخلها. يقولون: ليس لكم وطن، ولستم موجودين، ولا نعترف بكم.

الثور الوحشي

والسؤال الآن: مع رؤية هذا كله.. بأي قوة، وبأي فكر، ونتيجة لأي استراتيجية.. لا تنفك أمريكا توطد علاقة الوداد مع إسرائيل.. وكما يقولون في بلدنا: «يُطَلِقون الثورَ الوحشيَّ سُدىً»؟ لقد أطلقوا في حقول العرب ثوراً متوحشاً هائجاً. إن الثور العادي يلتهم الخضار، ولكن هذا الثور يعيش على الدماء ولحم البشر، ولا يوقفه أحد!!

لقد سمعتم كثيراً عن مشروع قرار واحد. يقولون: ما دام العراق لا ينفذ هذا القرار فسنواته ضربته وتخريبه. وبالرغم من طرد العراق من الكويت فلن نتوقف عن مطاردته ولو عشرات السنين ما دام هناك احتمال أن يرفع أحد رأسه من هذه الأرض مرة ثانية.

قوة «الفييتو الأمريكي»!

وعلى النقيض من ذلك، وعلى إثر العدوان الإسرائيلي، كلما طُرح في مجلس الأمن قرار لوضع الحد للاعتداءات الإسرائيلية أو تغيير مسارها، استخدمت أمريكا حق الاعتراض عليها (الفييتو). ولقد حدث هذا ٢٧ مرة؛ فكلما أدان مجلس الأمن إسرائيل بالعدوان، وطلب منها تحرير الأراضي العربية التي احتلتها نتيجة للعدوان، اعترض ممثل أمريكا على القرار. وفي معظم الحالات كان الفييتو صادراً من أمريكا وحدها، في حين أنه في الحالات الأخرى التي درستها كان مع أمريكا هناك معارض آخر أو اثنان. ولكن أمريكا كانت غالباً ما تقف في وجه الجميع لتساند وحدها إسرائيل، وتستخدم الفييتو ضد كل مشروع.

وبحثتُ عدد كبيراً التي وُجّه فيها شيء من اللوم بكلمات لينة إلى إسرائيل، وطلب منها التوقف عن عدوانها، فوجدتها أيضاً ٢٧ قراراً؛ وفي معظمها امتنعت أمريكا عن التصويت ولم تصوت لصالحها. أما كثيراً التي أدانت إسرائيل بشدة فما كانت أمريكا لتسمح بمرورها من مجلس الأمن. والقرار رقم ٢٤٢ الذي سمعتم عنه كثيراً، والذي طالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها بعد عدوان ١٩٦٧.. إنما مر من المجلس وأقره، لأن صياغة القرار أعطت الدول المساندة لإسرائيل سلاحاً كي تفسره بالطريقة التي تروقها. إنه القرار الوحيد الذي أيده أمريكا.

لماذا يحدث كل ذلك؟ يذهل العقل، لأن ذلك كله غير معقول؟! ما غرض أمريكا من مؤازرة إسرائيل بهذه

القوة؟

نكتة مؤلمة

ومن دراسة تلك كثيراً التي وافق عليها مجلس الأمن ضد إسرائيل ظهر أمامي شيء مثير للاهتمام. لقد كان هناك بون شاسع بين مسلكهم إزاء تلك كثيراً ومسلكهم إزاء القرار ضد العراق. إنهم لم يدعوا للعراق فرصة التقاط الأنفاس. فمن ناحية وافقوا على قرار المقاطعة الذي يمنع الطعام بل والدواء، فلا يدخل شيء إلى العراق حتى ولا ورقة. ثم ما كادت المقاطعة تبدأ حتى قرروا بدء الهجوم على العراق. والحق أنهم أكملوا خطة الهجوم قبل المقاطعة بوقت طويل، وكان الهدف من المقاطعة تجويع العراق وتعذيبهم بندرة المواد الأساسية.. حتى إنهم قصفوا مصنع

ألبان الأطفال أيضاً. هناك فرق كبير بين مسلكتهم مع العراق ومسلكتهم مع إسرائيل. عندما تمتنع إسرائيل عن التعاون معهم تكون صيغة قرارهم هكذا: يا إسرائيل.. لقد أخبرناك وقت كذا وكذا أن تعيدي الأراضي العربية، ولكنك لا تزالين تحتلينها. إننا ننظر إلى هذا التصرف نظرة استياء شديد، ولا نحب ذلك منك! ثم يصدرن بعده قراراً ثانياً يقول: يا إسرائيل.. ألم نخبرك بأننا سنستاء؟ ها نحن مستاءون! ثم يصدرن قراراً ثالثاً: لقد أخبرناك من قبل مرتين أننا غير راضين، ونقول الآن: أننا غاضبون جداً! ثم قراراً آخر: أننا سناخطون للغاية، وسنضطر لاتخاذ خطوات أخرى تكشف عن سخطننا! وهلم جراً. ولم يفعلوا أكثر من هذا.

هذا الموقف يشبه نكتة تقال في بلدنا عن سكان ولاية «أتر برديش» الهندية. يقولون عنهم أنهم يخشون العراك. فإذا ضرب شخص أحدهم قال: أتحداك أن تكرر الضربة! فإذا ما ضربه مرة ثانية قال: أتحداك أن تعيد الضربة! فإذا ما ضربه مرة أخرى كرر التحدي؛ وهكذا يكرر التحدي مع كل ضربة! لا بد أنها نكتة مختلقة، لأن القوم هناك شجعان حقاً وحاربوا أعداء أشداء. ولكن النكتة تنطبق بالفعل على الأمم المتحدة في معاملتها مع إسرائيل. تصفعهم إسرائيل مرة بعد مرة، وتتمرد على قراراتهم علناً، وتقول: ما قيمة قراراتكم هذه، إنها ورق مهمل سنمزقها ونرمي بها في سلة المهملات، وندوسها بقدمنا؛ وفي كل مرة تردّ الأمم المتحدة: نتحداك أن تضربنا مرة أخرى! لو تكرر هذا الفعل منك سنغضب كثيراً!!

لماذا يستمر هذا الجنون؟ لا بد وأن يكون هناك حد لذلك. فهذه أمور غير مفهومة! لا يستطيع المرء أن يصدق حدوث مثلها في العالم.. ولكنها تحدث. عجباً! ما فائدة الأمم المتحدة هذه؟ لو كانت بلاد العرب والمسلمين ذكية لتفكروا في مدى منفعتها. وكذلك ينبغي أن تفكر سائر بلاد العالم في هيئة الأمم هذه التي تصدر قراراتها فعلاً لصالح الدول القوية الذين يسيطرون عليها وعلى دستورها. فبوسعهم ظلم من يشاءون، وليس لسائر الدول حق رفع الصوت ضدهم! وإذا حاولوا ذلك فحق الاعتراض أو الفيتو يوقفهم. وبإمكانهم تسليط أحد توابعهم ليرتكب من المظالم ما يشاءون، ويمسكون بمصائر بلاد العالم في قبضتهم. هذا هو حال الأمم المتحدة. إذا أريد منهم اتخاذ قرار ضد العرب والمسلمين أسرعوا واتخذوا أشد القرارات قسوةً، ولكن إذا أثرت مسألة لحماية حقوقهم فلا يفعلون سوى إثارة بعض الضجيج الذي لا يجدي فتياً!

دجاجة تعيث الفساد

كنت في طفولتي مولعاً بتربية الفراريج، ورأيت دجاجات تلقي بروتها وقذارتها في حديقة صاحبها، ولكنها عندما تبيض تذهب إلى بيوت الجيران لتضع بيضها عندهم. والأمم المتحدة واحدة من هذه الدجاجات. فهي تثير الاضطراب في بيوت العرب، وتضع البيض في حدائق إسرائيل ودول الغرب. وإذا كان هذا هو مفهوم الأمم المتحدة فينبغي التفكير في أمرها. سوف أقدم للعالم نصيحة بهذا الصدد.

في النهاية يكون بوسعكم إدراك شيء واحد: إن عالم الغرب يضم عداوة شديدة للإسلام، ووراء هذه الكراهية، كما ذكرت، هناك خلافات تاريخية. ولهذا العداوة سبب آخر هو الخوف من الإسلام.. ولده جهلة المشايخ المتعصبين والملاّات في عقول العالم الغربي. يقدم الشيخ المتعصب في جهالته مفهوماً للإسلام يخشاه العالم،

ويقولون: لو ينال هؤلاء الناس مقاليد القوة فسوف يستخدمون ضدنا العنف والظلم. وسأتناول هذه المسألة فيما بعد عندما أوجه نصحي للمسلمين.

ذاكرة الإسرائيليين

ولكن ما أود قوله الآن للغرب: إذا حسبتم أنكم لو تركتم إسرائيل تلاحق المسلمين بعدوانها فستنسى إسرائيل فظائع الغرب ضد اليهود، وستمضي في الثأر من العرب بدلاً من الثأر منكم.. فهذا سخف تماماً. إن ذاكرة الانتقام لدى اليهود قوية للغاية ولا يمكن محوها، وإن ذاكرة اليهود نحو معروفٍ صنَّعه أحد لديهم لهي كتابة على الماء! إذا درستم التاريخ الإسلامي فستدهشون إذا عرفتم أنه خلال الحكم الإسلامي في أسبانيا لمدة ٨٠٠ عام لم تقع حادثة اعتداء واحدة ضد اليهود. وحيثما أقيمت النظر على أوقات حكم المسلمين ستجدهم يرتكبون المظالم بعضهم ضد بعضهم فقط، وذلك عندما يستحث المشايخ المتعصبون أتباع طائفة ضد طائفة أخرى، ولكنك لن تجد أي عدوان ضد اليهود أو النصراني.

هناك ثلاث قبائل من اليهود يتصلون ببداية تاريخ الإسلام في المدينة: هم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع. دأبت هذه القبائل على نقض عهودهم، واتبعوا أسلوب الخداع ضد النبي ﷺ وضد المسلمين. كانوا ينضمون إلى المهاجمين عند الإغارة على المسلمين. وأخيراً اضطر المسلمون لانتخاذ التدابير الملائمة ضد هذه القبائل. وعندما كانت الأمم المتحدة تناقش مسألة إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ غير اليهود المسلمين بأن هذا من حقنا، ومن عادتكم طردنا من ديارنا، ولم ننس حتى الآن ما فعلتم بقبائل اليهود حول المدينة.

فهي ذاكرة عجيبة، يحفظون فيها فظائع خيالية تعود إلى ١٤ قرناً خلت، ويمحون منها الصنيع الحق الجميل!

فظائع الغرب على اليهود

إنها أمة عجيبة تنسى أن إيزابيلا وفرديناند أمرا عام ١٤٩٢م بطرد اليهود من أسبانيا. لقد لبثوا في العذاب قرنين من الزمان.. ولم يحاولوا مع ذلك مغادرة أسبانيا إلى حين أخرجهم النصراني منها جبراً. اضطر بسبب التعذيب عدد كبير من اليهود إلى التنصر. ولكن قامت حركة تقول: إنهم تنصروا في الظاهر ليخضعونا. عندهم ثروات كبيرة، ولا بد من سبب نتذرع به لتجريدهم من ممتلكاتهم وأموالهم؟ لذلك ناشد البابا الملكة إيزابيلا والملك فرديناند بأن الحل الوحيد لعلاج الأزمة هو التفتيش عليهم وعدم الوثوق في تنصرهم. وحركة التفتيش هذه (Inquisition) هي طريقة التعذيب التي كان النصراني يستخدمونها ضد معارضيهم، وارتكبوا بواسطتها فظائع رهيبية ضد غير النصراني، وأيضاً ضد النصراني المشكوك في عقيدتهم. على كل حال، استمر هذا الجدل بين البابا والملكة إيزابيلا طويلاً. ولما كانت الملكة ساخطة على البابا - ولعله سيكستوس الرابع Sixtus iv - لأنه لم يعين كاردينالات رشحتهم من جانبها، لذلك لم توافق على أن تقوم لجنة عينها البابا للتفتيش. وأخيراً قال القسيسون للملك فرديناند بأننا نعطيك كل ما نصادره من أموال اليهود في نظير الإذن لنا بالتفتيش. دعنا فقط نقوم بالفظائع.. أما الثروة فهي لك! فبدأوا حملة التفتيش عام ١٤٨٠م. وكان التفتيش مؤلماً حقاً.. بحيث يندر أن نجد في تاريخ العالم مثيلاً للفظائع المرعبة التي وقعت من النصراني ضد اليهود. وأخيراً لما لم

يكتفوا بالتعذيب أمروا بنفيهم من أسبانيا عام ١٤٩٢ الميلادي.

اليهود يَحمون بالمسلمين

لعلكم تذكرون «الموت الأسود» أو الطاعون الذي انتشر في أوروبا بين عامي ١٣٤٧ و١٣٥٢ م، وقضى على أعداد لا تحصى من الناس. أشاعوا أن ذلك بسبب نحس اليهود. فكثرت القتل في اليهود، ووقعت في فرنسا معظم هذه الفظائع. وبوسعكم تصور هذه الفظائع، فقد خرج اليهود من أسبانيا عساهم يجدون ملجأ في فرنسا ومنها إلى الدول الأوروبية الأخرى؛ ولكنهم لم يجدوا حماية هناك، واستمر التنكيل بهم. وإذا كان هناك من مَنَحَهُم الحماية.. فهي الحكومة الإسلامية في فلسطين. وهذه حقيقة تاريخية. ومرة أخرى أثناء الاضطهاد النازي في ألمانيا، ذهبوا إلى فلسطين طلباً للحماية. وهكذا خلال التاريخ الإسلامي لقي اليهود من المسلمين الجميل بعد الجميل، وتربّت معارفهم وفضائلهم في حضن المسلمين. ثم لما وقعت بهم أعمال الوحشية على يد الأوروبيين النصرى.. إذا بهم يأخذون ثأرهم من المسلمين!

خطة قهر العالم

هذا ما يجول بذهن أمريكا وحلفائها.. فما أربحها من صفقة! فليكن اليهود مشكلة للمسلمين. دَعُوهم يأخذوا من المسلمين ثأر وحشيتنا معهم؛ ويُقتل الاثنان بحجر واحد. فما أبرع مكرنا! ولكنهم ينسون أن اليهود قوم لا ينسون.. فهذا ضد طبيعتهم كما ذكرت، ومن المحال أن يتركوا ثأرهم من الغرب على ما ارتكبه في حقهم من فظائع. إنها مسألة وقت. فالיום يحصلون على القوة بامتصاص دم المسلمين، وزادت قوتهم حتى صاروا خطراً إلى حد التباهي علناً بقدرتهم على محاربة الاتحاد السوفييتي وهزيمته. قد تقدمت إسرائيل على أمريكا في كثير من فروع التكنولوجيا اللازمة لتطوير أسلحة الحرب، وصنعت القنبلة الذرية، وأنتجت أسلحة مهلكة أخرى. لماذا يحدث كل ذلك؟ لماذا تزداد قوتهم باطراد؟ إنها لغباوة وحماسة كبرى لو ظنت أمريكا وحلفاؤها أن كل ذلك خوفاً من المسلمين. الواقع أنه كلما اصطدم المسلمون المساكين باليهود دمر اليهود كل قواتهم تماماً، وألحقوا بهم هزيمة نكراء تنحني بسببها رؤوس المسلمين في خجل. فأى خوف عندهم من المسلمين؟

الواقع أن خطتهم أن يقهروا العالم كله. أولاً يستولون على ثروات البترول، وبعد ما تتلاشى ذكرى خطوة يتخطون خطوة أخرى، ثم التالية لها وهكذا. وعندما أقول إن مكة والمدينة في خطر فلا شك في هذا؛ لأن بنيتهم الاستيلاء على حقول النفط في النهاية، إلا إذا قدر الله تعالى غير ذلك، واستجيبت دعواتنا في ساحة رب العالمين، وعندئذ تختلف النتائج؛ ولكن الخطة هكذا تماماً. وبعد ذلك يثأرون من الغرب، وسيكون انتقاماً مريعاً لا يتخيله أهل الغرب. إن اليهود أمة تنفخ في نفير الحرب. ولقد أسمع دافيد بن جوربون صوت هذا النفير مرة أخرى. يتردد في آذانهم منذ أربعة آلاف عام: الحرب الحرب. ولا هدف لهم غير ذلك. فإذا كان أمريكا وحلفاؤها يتوهمون أنهم يخدعون اليهود والمسلمين، ويجعلونهم يتحاربون.. فهم إنما يرتكبون خطأ كبيراً.

مظالم أمريكا على فيتنام

وفيما يتعلق بأمريكا فقد قلتُ إن بهم كثيراً من الأسباب السيكولوجية تدفع بهم للسعي في إهانة العراق

وخزيه.. ذلك كي يتمكنوا من إزالة وصمة هزائمهم الماضية. وذكرت بهذا الصدد فيتنام. وسأخبركم باختصار عن فيتنام، وكيف تحطم في أرضها «الأنا أو الصلف الأمريكي» وتمشم كبرياء هذه القوة العظمى هناك. بدأت حرب فيتنام في ٤ أغسطس ١٩٦٤. وكانت مصادفة عجيبة، أو قُلْ هو قدر الله تعالى.. أن الحرب بدأت بعاصفة، يطلق عليها المؤرخون الأمريكيان العاصفة المدارية. فعندما كانت الحرب تجري بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية، وكان الشيوعيون الشماليون يحاولون إسقاط حكومة الجنوب.. كانت أمريكا تتلمس ذريعة للتدخل في المنطقة لتساعد فيتنام الجنوبية لتهزم الشيوعيين في الشمال. دخلت إحدى السفن الأمريكية وتسمى مادوكس (Maddox) في منطقة من البحر ضمن حدود فيتنام الشمالية، فأرسلت فيتنام الشمالية قوارب دورية لتعرض طريق السفينة، ولكن السفينة هاجمتهم وأغرقتهم، ثم عادت بصحبة إحدى المدمرات تدعى تيرنر جوي (Turner Joy). قال الأمريكيان في أنفسهم: لو هاجمونا الآن كانت بيدنا حجة للهجوم عليهم. ولكن ما حدث هو أن العاصفة المدارية هبّت، وهي عند هبوبها تكون رهيبة كعواصف الصحراء. قالوا: تعطلت معدتنا الألكترونية وظننا بالفعل أننا هوجمنا. وهذا ظن يشبه تصرف الجاهل؛ فهناك عاصفة واضحة، فكيف كان هناك هجوم؟ هل هيجت فيتنام العاصفة؟ على أي حال من يبحث عن ذريعة يجدها. وهكذا وجدت أمريكا سبباً كسيحاً، وادعوا بأنهم تعرضوا للهجوم. ولجّوا في إصرارهم على أنهم هوجموا أولاً ولا بد من رد الهجوم! فقاموا بهجمات جوية على فيتنام. وفي خلال عام، أي قبل نهاية عام ١٩٦٤، أرسلوا إلى فيتنام ٢٠٠ ألف من جنودهم، وفي عام ١٩٦٧ بلغت قواتهم ٥٤٠ ألف جندي.

كان القصف الجوي شديداً لمدة ثماني سنوات ونصف السنة. كانوا يضربون فيتنام ليل نهار، حتى بلغ مجموع ما ألقوه مليونين ونصف مليون طن من القنابل؛ وهذا يعادل ما أُلقيَ خلال ست سنواتٍ في الحرب العالمية الأخيرة في أنحاء العالم.. في أوروبا وآسيا وأفريقيا. علماً بأن مساحة فيتنام تساوي مساحة ولاية فلوريدا الأمريكية. فهو بلد فقير، ليس به مصالح كثيرة أو قوة تجارية. ولكن بوسعكم مشاهدة عظمة الشعب الفيتنامي.. إذ حاربوا أمريكا برأس مرفوعة أكثر من ثماني سنوات. وبلغ مجموع القتلى من عسكريين ومدنيين في الشمال والجنوب مليونين ونصف مليون، أي بقدر سكان إسرائيل من اليهود؛ ومع ذلك لم يُحَنوا الرأس أبداً، بل قصموا ظهر الصلف الأمريكي، حتى اعترفت أمريكا بهزيمتها في مذلة ومعرة.

وكان أسلوب الاعتراف الأمريكي مثيراً. ففي مؤتمر السلام بفرنسا رفض وفد فيتنام الشمالية وقف إطلاق النار، وقالوا: نعم نبحت السلام ولكن لا نتوقف عن القتال!! فالدرس الذي تمليه أمريكا اليوم على العراق.. تعلمته من قبل على يد فيتنام: نبحت السلام مع استمرار القتال. لقد تمشم صلف هذه الدولة العظمى هناك، وحاقت بهم هزيمة نفسية رهيبة، تدفعهم إلى الانتقام واستعادة كرامتهم. ولكن الواقع يقول: الظهر إذا انكسر لا ينصلح أبداً.

الحق أن العالم قد تغير، والزمن لم يعد كما كان، ويستيقظ في الإنسان مفهوم الاعتماد على النفس ويتنامى، وموجات التحرر تعلو وترتفع. إن قدر الله تعالى يغير مستقبل العالم، فلم تعد الأيام للآلهة المزيفة. آن

الأوان لحو سلطانهم.. ولكنهم لا يستطيعون رؤية ذلك. إنهم لا ينفكون يرتكبون عدواناً بعد عدوان، ولا يرون صورتهم في عيون العالم أو في عين التاريخ. يقدمون الرئيس صدام على أنه شبيه هتلر، الطاغية القاسي؛ ولو قبلنا بهذا الادعاء فما فظائعهم بالقياس إلى عدوان صدام إلا كجبال إزاء حبة خردل! كل ما ينسبونه إلى صدام من فظائع، لو صدقنا بها.. فما هي بالنسبة لجرائم أمريكا في فيتنام، ولمدة تزيد على ثماني سنوات متواصلة؟ لم يكن لهم حق في الذهاب إلى فيتنام ليقصفوا بلدًا ويناصروا فريقاً منه لارتكاب أعمال وحشية ضد الفريق الآخر!! لو قرأتم تفاصيل فعالهم هناك لا شعرت جلودكم وارتعدت فرائصكم. كانت جرائم وحشية. والأدهى من ذلك محاولاتهم المستمرة إلى الآن لتشويه الشخصية الفيتنامية. فهم لا يبرحون يتصايحون أن الفيتناميين قتلوا المواطنين المؤيدين لنا في كل مدينة استردوها، وفعلوا الفظائع هناك حتى أصبحت المقابر الجماعية تضم مئات وألوف الجثث. ينبغي أن يعامل الخائن هكذا في حرب عدوانية من طرف واحد! أي شريعة في العالم تحمي الخائن؟ إنهم يعترفون بلسانهم أن هؤلاء الناس أعوانهم. يذكرون هذا ويصورونه على أنه من الفظائع، وينسون جرائمهم التي اقترفوها في ثماني سنوات ونصف سنة!

أخشى أن هذا المرض النفسي الرهيب الذي أصيبت به أمريكا هو أشد الأخطار على سلام العالم اليوم.

قتلة مستأجرون

وهنا أضافوا شيئاً آخر رهيباً.. ذلك أنهم أقاموا مثلاً للحرب لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم كله. ولعلكم سمعتم بحروب المرتزقة، ولكن هذه حرب مرتزقة على نطاق فظيع واسع.. لم يسبق حدوث مثله في العالم. إنهم في حرب فيتنام لم يحملوا على الأقل كيس الشحادة ليتسولوا نفقات الحرب، وتحملت أمريكا وحدها ١٢٠ بليون دولار على مدى السنوات الثماني لتمطر العدوان على فيتنام. وهذا قدر هائل من المال. ولكنهم في حرب الخليج يعتمدون على المال الذي يشحذونه. أي ضمان يكون لسلام العالم إذا نُصب هذا المثال أمام الناس، وأمكن أن تحارب دول بأموال الآخرين؟ هذا يعني أن يبقى سلام البلاد الفقيرة في أيدي البلاد الغنية، فيطلقون المرتزقة ليعتدوا على الأمم الفقيرة وقتما يشاءون وكلما يريدون. هذه هي الرسالة التي يعطونها للعالم!

وهناك شعور آخر متصل بهذه الحرب.. عندما تظهر نتائجها بالتدريج ستندهبون عندما ترون أمم الغرب الأخرى تتشجع وتقول في نفسها: إذا كانت الحرب هكذا فلم لا نشارك فيها؟ كل هذا الدمار الذي وقع بالعراق والكويت أخذوا الأموال لاقتراهه؛ وسيأخذون أضعافه لإصلاح ما دمروه. فهم يجمعون المال من الوجهين: من التخريب وإعادة البناء! أنت تدفع لاستئجار القاتل مالا أقل، أما الجراح المعالج فتدفع له أكثر؛ وهم جمعوا المهنتين في أيديهم؛ هذا هو أشد الأخطار في وجه العالم. لقد ظهر تقليد جديد إذا لم يوقف فسيزداد ويتفاقم. إذا أرادوا تدمير بلد فقير فسوف يدمرونه لو دفع التكليف بلد غني؛ ويتقاضون ثمن البناء من المجني عليه؛ ويتنفعون من الجاني والضحية!

أرض أبراج الجماجم!

وختاماً أود أن أثيركم طالما تعرضت أرض العراق لأشد صنوف القمع ووقعت بها مآسٍ قاسية رهيبة. أي

اسم، يا تُرى، نطلقه على هذه الأرض؟ يمكن أن نسميها «أرض الأبراج المشيدة من الجثث والجماجم». ففي أول الأمر احتل الآشوريون منطقة العراق، وأنزلوا بالناس فظائع استمروا في كرب وفزع منها لمدة ٢٠٠ سنة. وفي عام ٨٧٩ قبل الميلاد، أي في بداية الطغيان الآشوري.. شيّد الملك الفاتح برجاً أمام قصره نُقش عليه: «أنا الملك الذي سلخ جلد من عارضني. وقد غطيتُ هذا البرج الذي ترونه بجلود البشر. والهيكَل الذي في قمته هيكَل بشري. واستخدمتُ أجساد الأحياء بدلاً من قوالب الطوب لبناء البرج». فأنا الملك الذي يسليخ الناس، وأنا ملك الموت». ومع ذلك مضى الملك يقول: «إني أفعل ذلك من أجل الفضيلة. وحرَبنا هي بين الخير والشر؛ فنحن نمثَل الخير، وسائر العالم يمثَل الشر؟»

(Chronicle of The world, By Longman Group (UK) Ltd. 1989 p. 73)

لا أعرف ما إذا كان الرئيس بوش اطلع على هذا التاريخ أم لا، ولكنه يحاول بما يفعله بالعراق تشييدَ برج رمزي شبيه بذلك البرج، ويحاول أن ينقش عليه: نحن الملوك الذين هشموا الرؤوس، وحطموا رغبة احترام النفس لدى الآخرين، وسحقناها تحت أقدامنا. من يرفع صوته علينا أو ييدي جسارة أماننا فسنتقصم ظهره، ونبني أبراجاً من الجماجم كتلك التي شيّدت في تاريخ العراق من قبل!

أما البرج الثاني فقد بُني في العراق عام ١٢٥٨م، بناه هولاءكو خان من الجماجم البشرية حقاً. ومنارة
ثالثة عام ١٤٠١م بناها تيمور لنك من جماجم الناس أيضاً.

(Cambridge History of Islam, Vol. 1, P. 170, Editors)

الظهر المكسور لن يُشفى

فما أشدّ ما تعرضت له هذه الأرض من إرهاب وقمع، ليس مرة واحدة ولا اثنتين، بل ثلاث مرات بُنيت الأبراج من جماجمهم وجثثهم.. كي يخرّوا ساجدين أمام أحد الطغاة. وما يجري اليوم في العراق هو تكرار لنفس الشيء. ولا أعلم متى يحطمُ القدر الإلهي كبرياءهم وغطرستهم؛ ولكن ما أعلمه يقيناً أن القدر سوف يحطم رأس غطرستهم. وأؤكد لأمریکا أن ظهركم الذي كُسر في فيتنام لن يُشفى أبداً بعدوانكم وفظائعكم في العراق. إنكم حاولتم في الظاهر بناء برج من الجماجم، ولكن الحُفْر التي أحدثتها تفجير مليونين ونصف مليون طن من القنابل، حُفْر الخزي هذه صارت مقبرة لسمعتكم، وسيبقى اسمكم مدفوناً فيها إلى الأبد. وسوف تتضح هذه الأمور فيما سيرويه تاريخ المستقبل. وتلك البقع التي لطخت وجهكم، والتي لا يستطيع أحد عرضها على العالم خوفاً من فظائعكم ومظالمكم.. سوف يكشفها التاريخ في النهاية بمضي الوقت، وسوف تشتد الظلمات عليكم دكنةً. انظروا إلى أنفسكم بعيون الآخرين، وشاهدوا الصورة التي تُرسم لكم في الخارج وتكون من نصيبكم في المستقبل. إنكم تعملون على النقيض من الغرض الذي من أجله قامت أمتكم، وبدلاً من السلام تدفعون الناس نحو الحرب إلى الأبد.

أما إذا لم تكن أمريكا مستعدة لفهم هذه الأمور، وهذا ما يبدو منها في الوقت الحاضر.. لأنهم محمورون بغطرستهم، ويحلّقون عالياً، يراقبون العالم من فوق قمة برج عدوانهم الخيالي، فماذا سيحدث في المستقبل، وماذا سيدي لهم قدرُ الله تعالى، هذا ما سوف أتحدث عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. وسوف أنصح اليهود،

وأنصح المسلمين أيضاً وسائر بلاد العالم كذلك.

إن الوقت الحاضر هو أشد الأوقات حرجاً في التاريخ الحديث للبشرية. ولا يزال هناك فرصة لتغيير اتجاه تيار العدوان والطغيان. لم يفلت الأمر تماماً من الأيدي، وإني على يقين من أنهم لو قبلوا نصحي الذي أقدمه لهم في نور التعاليم القرآنية.. فبمشيئة الله تعالى سيفلحون في تغيير مجرى تيار الطغيان.

إننا لا نملك سلطة، والحق أن موقفنا ليس إلا موقف المستضعفين من عباد الله، المتضرعين إليه في تواضع وخضوع. ولكن دعاءنا، بلا شك، يستطيع بفضل الله تعالى تحقيق تلك النتائج التي لا يستطيع جهدنا الظاهري تحقيقها يقيناً. فجهودنا لا وزن لها، ولا يملك قولنا تحريك شعرة واحدة من أمريكا. ومع ذلك فإني أعرف، وأنتم جميعاً تعرفون، أن مسار البشرية سيتغير إن شاء الله تعالى بفضل دعاء جماعة سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، بفضل ابتهاج المحبين الواهين لسيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، بفضل دعاء حار لعباد الله المتواضعين.

قوة دعوات المهدي

يقول سيدنا المهدي والمسيح الموعود صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الإلهامية: إنه لقدر الله، ولسوف يتم ذلك. عندما تذوب روح المسيح الموعود والمهدي المنتظر على العتبة الإلهية.. وتصعد في ظلمة الليل أنات الألم من قلبه.. فوالله، ستذوب قوى العالم العظمى كما يذوب الثلج في حرارة الشمس. وعندئذ سوف تشرق أيام دمار هذه القوى، وقصم ظهور غطرستهم. (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية مجلد ١٦ ص ٣١٨).

اليوم لم يعد سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام يمشي بين ظهرانينا، ولكن روحه تعيش في الجماعة الإسلامية الأحمدية. فيا أيها المسلمون الأحمديون.. يا من يحملون روح المهدي والمسيح في صدورهم، قوموا في الليالي بين يدي رب العزة، وذوبوا بصرحات الألم وشهقات الضراعة، ولتؤمنوا يقيناً أنه عندما تنصهر أرواحكم على عتبة ربكم.. فلتأتين الأيام التي تتلاشى فيها القوى العظمى الغاشمة. هذا قدر لا يستطيع تبديله أحد في هذه الدنيا.

٢٢ فبراير ١٩٩١